Département d'Arts et Médias
شعبة الفنون والوسائط
مسلك الإجازة المهنية
مسلك المهن الفنية والوسائطية
الدورة الربيعية/ الفصل الثاني

جامعة ابن طفيل Université Ibn Tofail

مادة " الفن والأدب المقارن".

الأستاذة: نورة لغزاري.

(التاريخ: الاثنين 19 أبريل 2021)

الدرس البعدي المكتوب الثالث:

❖ المدرسة الفرنسية بين الموقع الاستراتيجي والتوجهات الوضعية، وضغط المنهج التاريخي:

نصوص من أجل التأمل (السلسة 3):

النص الأول:

" المقارن ليس هو الذي يزاوج أو يقابل أثرين، أو ثلاثة آثار من آداب مختلفة. فالمقابلة بين شكسبير وراسين هي من النقد الأدبي. بينما إبراز ما عرف شكسبير من مونتين، وما مر في مسرحياته من تأثيراته، هذا هو الأدب المقارن".[1]

النص الثاني:

"لكن ثمة شروطا مسبقة على المقارن التوفر عليها، وهي كما يقول فان تيجم، حاجته إلى عُدَة:

أ- عليه أن يتجهز بثقافة تاريخية كافية تمكنه من وضع الأحداث الأدبية، في إطارها التاريخي. لذا كان مستحيلا على بول هازار درس "الثورة الفرنسية" والآداب الإيطالية (1910) لو لم يعرف جيدا تاريخ فرنسا وإيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر.

ب- الباحث المقارن مؤرخ للعلاقات الأدبية في عدة بلدان.

ت- على المقارن أن يعرف عدة لغات، ما يساعده على بحث أمور في لغتها الأم.

ث- عليه أن يعرف كيف يجد معلوماته وكيف يقيم بيانا بمصادر الموضوع ومراجعه."[2]

---

[1] - ماريوس فرانسوا غويار: الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب-عويدات، طبعة 1978،ص: 7.

[2] - المصدر نفسه، ص:15-16.

النص الثالث:

"دخلت تسمية المقارنة إلى تاريخ الأدب في نفس الوقت الذي دخلت فيه إلى الفيلولوجيا والتشريح والفيزيولوجيا، وتحت نفس الاعتبارات التي تستهدف دراسة الظواهر المختلفة، ورصد الوقائع المتشابهة لاكتشاف الصلات فيما بينها، رغبة في استخلاص القوانين العامة و القواعد الكلية."[1]

النص الرابع:

"لقد استعمل الأدب المقارن في فرنسا نهاية القرن 19، وراج في محاضرات فيلمان وبرونتيير وأطلق على منابر وكتب وجدت نفسها مدفوعة في ممارستها لدرس تاريخ الأدب الوطني، إلى الخوض في مقاربات فرعية مكملة للآداب الخاصة، دون أن تدري أنها بصدد الانفتاح على درس جديد سيخرج من تحت معطفها."[2]

النص الخامس:

" ثمة معنى للأدب المقارن يقصره على الصلات بين أدبين أو أكثر، هذا الاستعمال كرسته مدرسة المقارنين الفرنسية المزدهرة التي كان يرأسها فرناند بالدنسبرغر، وقد خصت المدرسة باهتمامها، بشكل آلي، وأحيانا بمهارة ملحوظة مسائل مثل الشهرة والنفوذ والسمعة نحو:"غوته في فرنسا وانجلترا"...

ازدادت معرفتنا بالتجارة الأدبية، غير أنها تقصر نفسها على المشكلات الخارجية ولا تتيح لنا مثل هذه الدراسات أن نحلل أو نحكم على عمل فني معين."[3]

النص السادس:

"إن ما يجب أن يتخلق به المقارن، من الآن فصاعدا هو الانسلاخ من كل شوفينية أو إقليمية، والاعتراف بأن الحضارة الإنسانية أو القيم، تتبادل من ملايين السنين، ولا يمكنها أن تفهم أو تتذوق دون إحالة دائمة على هذه التبادلات. الأدب المقارن هو الإنسانية. "[4]

الأفكار الأساسية الواردة في النصوص:

1- النص مأخوذ من كتاب فرانسوا غويار الذي يمثل جيل الأوائل داخل المدرسة الفرنسية، لذلك نجده يركز على التأثيرات المتبادلة. معناه أن الدرس الأدبي المقارن يرصد عملية التأثير والتأثر، وهو يعطي نموذج تأثر شكسبير الانجليزي بمونتين الفرنسي، هذا التأثر هو موضوع اشتغال الباحث المقارن.

2- نجد النص الثاني المأخوذ من الكتاب السابق للمؤلف نفسه يركز على المؤهلات العلمية التي ينبغي توفرها لدى المقارن، وهي :

- لا يفهم الأدب بعيدا عن استيعاب تاريخ الفكر والأمم والحضارات واللغات.
- مهمة الباحث المقارن التأريخ للعلاقات الأدبية العالمية.

---

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن ،طبعة 1987،ص:7 .

[2] - سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي،طبعة 1987،ص:24.

[3] - أوستين وارين- وريني ويليك: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، طبعة 1962، ص:59-60.

[4] - رونيه إيتيامبل: أزمة الأدب المقارن، ترجمة سعيد علوش، طبعة 1987، ص:15.

- ضرورة إتقان الباحث المقارن لعدة لغات، وهذا يثير إشكالية أساسية تتعلق بمدى مصداقية الترجمة في نقل المعرفة.
- ينبغي على الباحث أن يتوفر على موسوعية معرفية تمكنه من فهم الظواهر في علاقاتها اللامتناهية.

3- المقارنة لم تكن مقتصرة على دراسة الأدب، إنها ظاهرة وجودية أولا، ثم إنها دخلت الكثير من الحقول العلمية من أجل وضع قوانين عامة للظواهر بعد دراسة الاختلافات والتشابهات.

4- يرصد النص الخامس المرحلة الحاسمة التي بدأ فيها التفكير بوضع الحجر الأساس لحقل معرفي اسمه الأدب المقارن، ويتعلق الأمر بممارسة مؤرخي الأدب الوطني الفرنسي نهاية القرن التاسع عشر المقارنة من أجل البحث عن العوامل الخارجية المؤثرة في الظاهرة الأدبية محليا.

5- إذا نظرنا إلى مؤلفي الكتاب الذي أخذنا منه النص الخامس، نجد أنفسنا قد بدأنا نتسرب إلى آراء المدرسة الأمريكية، التي رغم اعترافها بالدقة المتناهية التي أنجزت بها أبحاث المقارنين الفرنسيين من خلال الجيل الأول، إلا أنها انتقدت إهمالها للنص الأدبي وغوصها في دراسة العوامل الخارجية، أو ما أسمته هذه الرؤية الانتقادية : التجارة الأدبية.

6- مع روني إيتيامبل، سنصل مرحلة انتقاد المفهوم الفرنسي للأدب المقارن من طرف ناقد فرنسي رفض هذه النظرة الشوفينية (النرجسية /الأنانية) لدى الدرس الفرنسي الذي ركز على فرنسا باعتبارها مصدرا للإشعاع الفكري والثقافي مع استبعاد مساحات شاسعة من حضارات الأمم خارج المركز الأوروبي.

خلاصات تركيبية:

كان انتشار الرومانسية وظهور المنهج التاريخي، عاملين أساسيين في بلورة إرهاصات حقل جديد اسمه: الأدب المقارن، الذي طبعته الفلسفة الوضعية التي تبحث عن على وأسباب الظواهر، وتأثر بالرومانسية المؤمنة بالانفتاح، وبالمنهج التاريخي المدقق في تفاصيل إفراز الظاهرة الأدبية.

اختلف كثيرا في الاتفاق على اسم موحد لهذا الحقل المعرفي الجديد، فقد اقترحت تسميات مثل:

- الآداب الحديثة المقارنة.
- تاريخ الأدب المقارن.
- تاريخ الآداب المقارنة.
- التاريخ الأدبي المقارن.
- التاريخ المقارن للآداب.

أحدث ميلاد الأدب المقارن ارتباكا في تسميته، كما في مشروعية وجوده، إذ اتهم بالتطفل على نظرية الأدب، وعلى النقد الأدبي، لكن الحقيقة أنه تبلور انطلاقا منهما كي ينفصل عنهما دون قطيعة تامة. لأن الأدب المقارن ظل بحثا مستميتا عن تطوير نظرية الأدب ومناهج النقد الأدبي دون أن يذوب فيهما.

ولكي يكون هذا الحقل مختلفا ركز رواده على ما يلي:

1- بعد الاستفادة من مفهوم العلية والسببية في العلوم التجريبية والفلسفة الوضعية، وبعد التأثر بالمنهج التاريخي الذي يركز على الظواهر المحيطة بالأدب ويدرسها علميا (الجنس، البيئة، العصر)، بلور المقارنون الفرنسيون الأوائل انطلاقا مما أسموه بعلاقة الأسباب بالمسببات أثناء عملية البحث في التأثيرات المتبادلة بين المبدعين. (لا يمكنك أن تبحث في موضوع تأثر دانتي في "الكوميديا الإلهية" بالمصادر العربية الإسلامية، إذا لم تكن تملك حجة الصلة بينهما).
2- الاختلاف اللغوي : لا تجوز المقارنة بين نصين مكتوبين بلغة واحدة، لأن هذا في نظر الرواد الأوائل لا يدخل في حقل الدراسات المقارنة.
3- تشابه الأعمال ينبغي أن ينبني على تواصل بين الطرفين وإلا بطلت المقارنة.
4- ادعاء الرواد طابعا كوسموبوليتيا لدراساتهم المقارنة.
5- وجوب الوقوف عند الحدود اللغوية والوطنية لمراقبة تبادل المواضيع والكتب والمواقف والمشاعر والأخيلة، والأساطير، والآراء، والأساليب...
6- وجوب التوفر على ثقافة تاريخية لوضع العمل الأدبي في إطاره التاريخي.

لهذا نجد أعمال المقارنين قد ركزت على وصف انتقال عمل أدبي خارج فرنسا، ورصد كيف تم الاقتباس الأدبي، كما درسوا المبادلات الأدبية والوسطاء والدور الذي تلعبه دور النشر والمترجمون.

لكن هذه الشروط أثارت الكثير من الجدل ببداية انتشار المنهج البنيوي الذي ركز على ضرورة إعادة الاعتبار للنص الأدبي، الذي همشته الدراسات التاريخية مما سيشكل الإعلان عن ميلاد توجه جديد في الدراسات المقارنة، وهو المدرسة الأمريكية.